الباب الثاني

اللامبالاة بالكلمة وأثرها

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جنهم»[1].

وعند مسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[2].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٦٤٧٧)، ومسلم رقم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه مسلم.

اللامبالاة بالكلمة وأثرها

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الكلمة شأنها خطير، وضررها عظيم، فهي مفتاح كل خير، أو مفتاح كل شر، وبها ينال العبد الرضى والرضوان، أو ينال السخط والخيبة والخسران، فكم من كلمة رفعت صاحبها إلى عنان السماء، ونال بها الرفعة في الدنيا والآخرة، وكم من كلمة أورثت صاحبها الذل والمهانة، ولذا قيل:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

وهيا لنقف مع ابن القيم، وهو يوضح لنا خطورة الكلمة، يقول ـ رحمه الله ـ: «وأما اللفظة فحفظها بأن لا يخرج لفظة طائعة بأن لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر هل فيها ربح وفائدة، أم لا؟، فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر هل تفوت بها كلمة أربح منها؟، فلا يضيعها بهذه وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب، فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب شاء صاحبه أم أبى».

يقول يحيى بن معاذ: «القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك بما في قلبه، حلو، وحامض، عذب، وأجاج، وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه، أي: كما تطعم بلسانك طعم ما في القدور من الطعام، فتدرك العلم بحقيقته، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه، فتذوق ما في قلبه من لسانه، كما تذوق ما في القدر بلسانك».

وفي حديث أنس المرفوع: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**»[1].

---

(١) ضعيف: أخرجه القضاعي (٢/ ٨٨٧) بلفظه، وأحمد (٣/ ١٩٨). وفيه علتان: العلة الأولى ـ (علي ابن مسعدة) صدوق وله أوهام، والعلة الثانية ـ عنعنه قتادة.

وسُئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج»[١].

وقد سأل معاذ النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة، ويباعده من النار، فأخبره الرسول ﷺ برأسه وعموده، وذروة سنامه، ثم قال: «ألا اخبرك بملاك ذلك كله؟»، قال: «بلى يا رسول الله»، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «كف عليك هذا»، فقال: «وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟!»، فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»[٢].

ومن العجب: أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول[٣].

ويقول الإمام النووي - رحمه الله -: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا ما ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليقل خيراً أو ليصمت»[٤].

---

(١) «صحيح الترمذي» (١٦٣٠).
(٢) صحيح الترمذي» (١٦٣١).
(٣) «الداء والدواء» (ص٢٠٤-٢٠٥).
(٤) متفق عليه.

وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم، وقد جعل النبي ﷺ حفظ اللسان مع حفظ الفرج جواز إلى الجنة ونجاة من النار، فمن ضمن اللسان والفرج ضمن له النبي ﷺ الجنة، قال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[١].

قال الحافظ: «الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه، فالمعنى: من أدى الحق على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق على فرجه من وضعه في الحلال، وكفه عن الحرام، وقوله: «**لحييه**»، هما العظمان في جانبي الفم، والمراد مما بينهما اللسان وما يتأتى به من النطق، وبما بين الرجلين الفرج».

وفي بيان أن اللسان قائد الأعضاء في الاستقامة والاعوجاج، أخبر النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: «**اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[١].

وتكفير الأعضاء للسان كناية عن تنزيل الأعضاء اللسان منزلة الكافر بالنعم، وقد جعل النبي ﷺ اللسان أخوف ما يخاف على سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه، فقد قال: قلت: «يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به»، قال: «**قل: ربي الله ثم استقم**»، قلت: «يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي»، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «**هذا**»[٣].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي وابن خزيمة وصححه، وكذا صححه الألباني.

(٣) «شأن الكلمة في الإسلام» (ص١٦-١٨). والحديث رواه الترمذي، قال: «حسن صحيح»، وابن ماجه، وصححه الألباني.

خطورة اللامبالاة بالكلمة

إذا كان هذا هو خطر الكلمة، وأنها قد تكون سبب من أسباب النجاة أو سبب من أسباب الهلاك، فقد حذرنا النبي ﷺ من خطورة اللامبالاة بالكلمة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جهنم»[(١)].

وعند مسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[(٢)].

وعند الترمذي من حديث بلال بن الحارث المزني عن النبي ﷺ: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه»[(٣)].

وكان علقمة يقول: «كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن حارث».

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمة الله عليه ـ: قال ابن عبد البر: «الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار، هي التي يقولها عند السلطان الجائر»، وزاد ابن بطال: «بالبغي والسعي على المسلم، فتكون سببًا لهلاكه وإن لم يرد القائل ذلك، ولكنها ربما أدت إلى ذلك، فيكتب على القائل إثمها، والكلمة التي ترفع

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨)، عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي وابن ماجه، والبغوي في «شرح السنة».

الدرجات ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بهـا عن المسلم مظلمة أو يفرج بها عنه كربة أو ينصر بها مظلومًا.

وقال غيره في الأولى: «هي الكلمة عند ذي سلطان يرضيـه بها فيما يسخط الله»، قال ابـن التين: «هذا هو الغالب، وربما كـانت عند غيـر ذي سلطان ممن يتأتى منه ذلك، ونقل عـن ابن وهب أن المراد بها: «التلفظ بالسوء والفـحش ما لم يرد بذلك الجحـد لأمر الله في الدين، وقال القـاضي عياض: «يُحـتمل أن تكون الكلمـة من الخنى والرفث، وأن تكـون في التعـريض بالمسلم بـكبيـرة أو بمجون أو استخفاف بحق النبوة والشريعة، وإن لم يعتقد ذلك».

قال الشيخ العـز بن عبد السلام: «هي الكلمة التي لا يعرف القـائل حسنها من قبحها»، قال: «فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حسنه من قبحه».

قلت: وهذا الذي يجري على قاعدة مقدمة الواجب . . [1].

من أجل ذلك حثنا النبي ﷺ على أمرين فيهما نجاة المسلم في الدنيا والآخرة:

احدهمـا ـ ترك الكلام فيما لا يعني، فإنه علامـة من علامات إيمان العبد؛ فعن علي بن الحسين، قال رسول الله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[2].

قال أبو سليمـان الخطابي ـ رحمه الله ـ قال بعض الحكمـاء: «من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن لم يستغن بما يكفيه، فليس في الدنيا شيء يغنيه».

وإن ابن عباس رضي الله عنهما أوصى رجلاً، فقال: «لا تتكلم بما لا يعنيك؛ فإن ذلك فـضل، فلست آمن عليك الوزر، ودع الكلام في كـثيـر مما يعنيك حتى تجـد له

---

(١) «فتح الباري» (جـ ١١) ـ (ص٣١٧).

(٢) أخرجه الترمذي والخطابي في كتاب «العزلة».

موضوعًا؛ فرب متكلم في غير موضعه قد عنت، ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا؛ فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا توارى عنك بما تحب أن يذكرك به إذا تواريت عنه، ودعه مما تحب أن يدعك منه؛ فإن ذلك العدل، واعمل عمل امرئ يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام»[1].

الثاني- الصمت، فهو سمت المؤمن، ودليل على رجاحة عقله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: «أي المسلمين أفضل؟»، قال: «من سلم الناس من لسانه ويده»[3].

وهذا ابن مسعود رضي الله عنه على الصفا يلبي ويقول: «يا لساني قل خيراً تغنم، واسكت عن الشر تسلم، قبل أن تندم»، فقيل: «يا أبا عبد الرحمن، أهذا شيءٌ تقوله أم شيءٌ سمعته»، فقال: بل سمعت رسول الله ﷺ: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه».

وقال الشافعي - رحمه الله - لصاحبه الربيع: «يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها».

وقال بعضهم: «مثل اللسان مثل السبع، إن لم توثقه عدا عليك ولحقك شره».

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

---

(١) «العزلة» (ص٦١-٦٢).

(٢) (٣) أخرجهما البخاري ومسلم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا تم العقل قل الكلام»

وقال ابن عيينة: «من حُرم الخير فليصمت؛ فإن حرمه فالموت خيرٌ له».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك بطول الصمت، فإنه مطردة للشيطان»[1].

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل».

وقال لقمان لابنه: «يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك».

احفظ لسانك لا تقول فتُبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

خوف السلف من اللامبالاة بالكلمة

هيا لنقف مع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وكيف أنهم كانوا يخافون من خطورة الكلمة، واللامبالاة بها:

١ - **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه؛ روى عمر رضي الله عنه أنه دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: «مه! غفر الله لك»، قال أبو بكر: «هذا الذي أوردني الموارد».

٢ - **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما **حبر الأمة، وترجمان القرآن**: قال رجل: رأيت ابن عباس أخذ بثمرة لسانه، وهو يقول: «ويحك قل خيراً تغنم، أو اسكت عن شر تسلم»، قال: فقال رجل: «ما لي أراك تأخذ ثمرة لسانك تقول كذا وكذا؟»، قال ابن عباس: «بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحنق منه لسانه».

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وصححه، وابن حبان.

٣ ـ **عبد الله بن أبي زكريا**: قال: «عالجت الصمت عشرين سنة، فلم أقدر منه على ما أريد، وكان لا يدع يعاتب في مجلسه أحد»، يقول: «إن ذكرتم الله أعناكم، وإن ذكرتم الناس تركناكم».

٤ ـ **عبد الله بن وهب**: يقول ـ رحمه الله ـ: نذرت أني كلما اغتبت إنسانًا أن أصوم يومًا، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنذرت إن اغتبت إنسانًا أن أتصدق بدرهم، فمن حبي للدراهم تركت الغيبة»، قال الذهبي: «هكذا كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع».

٥ ـ **قال الإمام النووي في الأذكار**: «بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صفي اجتمعا، فقال أحدهما: «كم وجدت في ابن آدم من العيوب، فقال: «هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة، إن استعملتها سترت العيوب كلها»، قال: «ما هي؟»، قال: «حفظ اللسان».

٦ ـ **قال سفيان الثوري لأصحابه**: «أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟»، قالوا: «لا»، قال: «فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ».

كأن رقيبًا منك يرعى خواطري ... وآخر يرعى ناظري ولساني
فما نظرت عيناي بعدك نظرة ... لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من فيَّ بعدك لفظة ... لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت في غير ذكرك خطرة ... على القلب إلا عرجت بعناني

ما ظنك بمن يحصي جميع كلماتك كل حركاتك ويشهد عليك بحسناتك، تُرفع الصحائف وهي سود، وعمل المنافق مردود، يحضره الملكان لدى المعبود، يا شر العبيد ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (ق: ١٧)، يضبطان على العبد ما يجري

من حركاته وما يكون من نظراته، وكلماته، واختلاف أموره وحالاته، لا ينقص ولا يزيد ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨).

يا كثير الكلام حسابك شديد، يا عظيم الإجرام عذابك جديد، يا مؤثرًا ما يضره ما رأيك سديد، يا ناطقًا بما لايجدي ولا يفيد، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ كلامك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت ـ يا هذا ـ مطلوب، ولك ذنوب، ما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب، وقد أتاه ما يصدع الحديد ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

صور من اللامبالاة بالكلمة

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن شأن الكلمة خطير، فالإنسان يدخل الإسلام بكلمة، فيعصم بها دمه وعرضه وماله، وبالكلمة يوبق العبد نفسه، فيصبح حلال الدم والعرض والمال، وبالكلمة يتزوج الإنسان، فتُقام الحياة الزوجية، وبالكلمة تُهدم البيوت، ويُفرق بين الزوج وزوجته . . وبالكلمة ينال العبد الأجر والثواب، والرضى والغفران، وبالكلمة يهوي العبد أبعد مما بين المشرق والمغرب في نار جهنم.

وهاك ـ أخي المسلم . . أختي المسلمة ـ صور من اللامبالاة بالكلمة، وتلك الصور نسمعها في كل وقت . . في المنزل . . في الشارع . . في السوق . . في كل مكان نرى ونسمع تلك المواقف التي لا يبالي أصحابها بخطورة الكلمة.

---

(١) «التبصرة» (ص٦١٧).

أولاً ـ في مجال الاعتقاد:

وهو أخطر المجالات لأن نتيجته إما جنة، وإما نار، إما سعادة، وإما شقاء، فمن ذلك:

١ ـ سب الدين: في زمن كثرت فيه المعارف وقل فيه العارف، تجد بعض الشباب يخرج هذه الكلمة التي تكاد السموات تنفطر من هولها، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، وهو لا يبالي، بل إنها أصبحت عادة وسمة من سماتهم، فما إن تدخل الأسواق وتركب المواصلات، وتقف على المقاهي إلا سمعت تلك الكلمة الخبيثة التي تصدر عن إنسان لا يبالي بعظمها، فإذا عاتبته وزجرته قال: «قد خرجت عن وعيي»، وهذا كذب لأنه لا يستطيع في حالته تلك أن يطلق أو يسب ذلك الإنسان الذي بينه وبينه مشاحنة، وما علم المسكين أنه بتلك الكلمة التي قالها قد خرج عن الإسلام وأصبح كافرًا ـ والعياذ بالله ـ، وما علم أنَّ صلاته قد بطلت، وحجه قد بطل، وزكاته، وسائر أعماله.

إن سب الدين أو سب الله تعالى أو سب رسوله ﷺ، لمن الأسباب الأساسية والأمور الرئيسية للخروج من الدين، وذلك هو الارتداد بعينه، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ولقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أن الرسول ﷺ قال: «من بدَّل دينه فاقتلوه»، ولذلك نحذر المسلمين من غضب الله وعقابه، ومن الكفر بعد الإيمان، ولنحافظ على ألسنتنا فلا نتكلم بها إلا بما يرضي الله.

أما بالنسبة للعمل الذي سبق هذا الذنب العظيم والإثم الكبير، فإنه قد حبط، كما قال علماؤنا، حتى وإن تاب، فيجب عليه أن يحج مرة ثانية إن كان قد حج قبل ذلك، ويرجع إلى زوجته بمهر وعقد جديدين . . إلى غير ذلك»[1].

---

(١) «منار الإسلام» عدد شعبان ١٤٢٠ ص (٣٦)، فتوى الشيخ محمد سليمان حمودة.

حكم من سب الله أو رسوله أو كتابه:

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وتحرير القول فيه أن السَّابَّ إن كان مسلمًا، فإنه يكفر، ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقد تقدم من حكى بالإجماع على ذلك إسحق بن راهويه، وغيره، وإن كان ذميًا فيُقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة، وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث[1].

فالذي يسب أو يشتم الله أو رسوله ﷺ فهو كافر، وحدُّه في ذلك القتل بالإجماع ولا يستتاب عند الجمهور، ولا عذر له في ذلك سواء كان مازحًا أو جادًا أو مستحلاً أو يعتقد حرمة ذلك، وقال ابن تيمية: «إن من سب الله أو سب رسوله كفر ظاهرًا وباطنًا سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً له أو كان عن اعتقاده»، وقال: «من سب الله كفر، سواء كان مازحًا أو جادًا، لهذه الآية»، يقصد: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[2] (التوبة: ٦٥)، ولكن في زمن اللامبالاة تجد الإنسان يسب ويكفر ثم يرجع إلى بيته، فيجامع زوجته، ويصلي وكأن أمرًا لم يكن، لماذا لا يتقي الإنسان ربه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ويعلم أنه بتلك الكلمة الخبيثة قد خرج عن الإسلام، فيجب على المرء أن يلجم نفسه بلجام ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

ثانيًا ـ سب الدهر وعيب الزمان:

فكثير من الناس أصبح يشتكي من ذلك الزمان، وما حل بهم من فقر وفاقه، وجهد وبلاء، فيجره ذلك إلى سب الزمان والدهر، ولا يبالي بذلك، وكأنها كلمة عابرة لا يلقي لها بالاً، ومن أمثال هؤلاء ابن المعتز، حيث يقول:

---

(١) «منار الإسلام» ع شعبان ١٤٢٠ (ص٣٦) فتوى الشيخ محمد سليمان حمودة.

(٢) كتاب «العذر بالجهل» (ص٣١).

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحداً ... وأنت والد سوء تأكل الولد

وقول أبي الطبيب:

قبحًا لوجهك يا زمان كأنه ... وجه له من كل قبح برقع

وقول الطرفي:

إن تبتلى بلئام الناس يرفعهم ... عليك دهرٌ لأهل الفضل قد خان

وقول الحريري:

ولا تأمن من الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل أخنى عليه ونابه[1]

ونحو هذا كثير، وكل هؤلاء لم يبالوا بما يقولون؛ لأنهم لم يتدبروا قول النبي ﷺ: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم. يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»[2]، وفي رواية: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الدهر هو الله»[3].

قال الشافعي في تأويله ـ والله أعلم ـ: «إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر، تسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت، أو هرم، أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر، وهو الليل والنهار، ويقولون: أصابتنا قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء، فيذمون الدهر بأنه يفنيهم، ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الدهر»، على أنه الذي يفنيكم ويفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء، فإنما تسبون الله ـ تبارك وتعالى ـ؛ فإنه فاعل الأشياء» اهـ.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٤٥).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري.

وقال ابن القيم: وفي هذا ثلاث مفاسد:

أحدها ـ سبه من ليس أهلاً للسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره، متذلل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه.

والثانية ـ أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتمه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدًا، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة ـ أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال، التي لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر، فربُّ الدهر هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم الدهر مسبَّة لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى، فسابُّ الدهر دائر بين أمرين لابد له من أحدهما: إما مسبَّة الله والشرك به، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله، فهو يسب الله تعالى[1] اهـ.

ويقول الإمام ابن الجوزي تحت عنوان (سب الدهر خروج من الإيمان): «ما رأت عيني مصيبة نزلت بالخلق أعظم من سبهم للزمان وعيبهم الدهر، وقد كان هذا في الجاهلية، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**»، ومعناه: أنتم تسبون من فرق شملكم وأمات أهلكم وتنسبونه إلى الدهر، والله تعالى هو الفاعل لذلك».

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٤٤-٥٤٦).

فتعجبت كيف علم أهل الأسقام بهذه الحال، وهم ما كان أهل الجاهلية عليه ما يتغيرون حتى ربما اجتمع الفطناء الأدباء الظرفاء على زعمهم، فلم يكن لهم شغل إلا ذم الدهر، وربما جعلوا الله الدنيا، ويقولون: فعلت وصنعت، حتى رأيت لأبي القاسم الحريري يقول:

ولما تعامى الدهر وهو أبو الردى ... عن الرشد في أنحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل إني أخو عمي ... ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

وقد رأيت خلقًا يعتقدون أنهم فقهاء وفهماء، ولا يتحاشون من هذا، وهؤلاء إن أرادوا بالدهر مرور الزمان، فذاك لاختيار له ولا مراد، ولا يعرف رشدًا من ضلال، ولا ينبغي أن يلام، فإنه زمان مُدَبَّر، لا مُدَبِّر، فَيُتَصَرفُ فيه ولا يَتَصَرَفُ بأحد، وما يظن بعاقل أن يشير إلى هذا المذموم المعرض عن الرشد الشيء الحكم هو الزمان، فلم يبق إلا أن القوم خرجوا على ربقة الإسلام، ونسوا هذه القبائح إلى الصانع فاعتقدوا فيه قصور الحمة، وفعل ما لا يصح، كما اعتقده إبليس في تفضيل آدم.

وهؤلاء لا ينفعهم مع هذا الزيغ اعتقاد إسلام ولا فعل صلاة، بل هم شر من الكفار، لا أصلح الله لهم شأنًا ولا هداهم إلى رشاد[1].

وهنا يجب على المسلم أن يبحث عن أسباب تلك الأزمات والمصائب التي أصابته بدلاً من أن ينسبها إلى الدهر، ولا يبالي بذلك.

ثالثًا - اللامبالاة بكلمة (لو):

فما إن تجلس في مجلس إلا وسمعت هذه الكلمة تتردد على ألسنة الجالسين وهم لا يبالون بها ولا يرفعون لها رأسًا.

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٣٨٣-٣٨٤).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1].

فقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية في كلمة (لو)، فأجاب رادًا على ذلك السؤال، وهو فيمن سمع رجلاً يقول: لو كنت فعلت كذا لم يجر عليك شيء من هذا، فقال رجل آخر سمعه: هذه الكلمة قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها، وهي كلمة تؤدي قائلها إلى الكفر، فقال رجل آخر: قال النبي صلى الله عليه وسلم في قصة موسى مع الخضر: «يرحم الله موسى وددنا لو كان صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما»، واستدل الآخر بقوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، إلى أن قال: «فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان»، فهل هذا ناسخ لهذا، أم لا؟.

* الجواب: الحمد لله .. جميع ما قاله الله ورسوله حق، و (لو) تستعمل على وجهين:

أحدهما ـ على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور، فهذا الذي نهي عنه، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران:١٥٦)، وهذا الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»، أي: تفتح عليك الحزن والجزع وذلك يضر ولا ينفع، بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (التغابن:١١)، قالوا: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

---

(١) أخرجه مسلم.

الوجه الثاني ـ أن يُقال: «لو»، لبيان علم نافع، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)، ولبيان محبة الخير وإرادته، كقوله: «لو أن لي مثل ما لفلان لعملت مثل ما يعمل»، ونحوه جائز، وقول النبي ﷺ: «**وددت لو أن موسى صبر، ليقص الله علينا من خبرهما**».

هو من هذا الباب، كقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: ٩)، فإن نبينا ﷺ أحب أن يقص الله خبرهما، فذكرها بيان محبته للصبر المترتب عليه، فعرفه ما يكون لما في ذلك من المنفعة، ولم يكن في ذلك جزع ولا حزن، ولا ترك لما يحب من الصبر المقدور عليه، وقوله: «**وددت لو أن موسى صبر**»، قال النحاةُ تقديره: وددت أن موسى صبر، وكذلك قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾(القلم: ٩)، تقديره: ودوا أن تدهن، وقال بعضهم: بل هي لو شرطية وجوابها محذوف، والمعنى على التقديرين معلوم، وهي محبة ذلك الفعل وإرادته، ومحبة الخير وإرادته محمود، والحزن الجزع، وترك الصبر مذموم ـ والله أعلم ـ[1].

فالواجب على العبد عند حلول ما يؤلمه أن يلزم نفسه الرضى بالمقدور، وأن يردد قول النبي ﷺ: «**قدر الله، ما شاء فعل**»، ولا يفتح على نفسه باب (لو)، فإنه باب منهي عنه.

رابعًا ـ قول: ما شاء الله وشئت:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة: قول الإنسان لأخيه: «**ما شاء الله وشئت**»، أو: «**لولا أنت والله**»، أو: «نحن بالله وبك»، وما شاكل ذلك، فهي كلمة تتردد على الألسنة من باب المجاملة وكسب الخاطر، ولكنها تدخل العبد في دوامة الشرك ـ والعياذ بالله ـ.

---

(١) «الفتاوى الكبرى» (جـ ١) ـ (ص٢٧٦-٢٧٧).

عن قتيلة أن يهوديًا أتى النبي ﷺ ، فقال: «إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة»، فأمرهم ﷺ : إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله، ثم شئت[1].

وله أيضًا عن ابن عباس: أن رجلاً قال للنبي ﷺ : «ما شاء الله وشئت»، فقال: «أجعلتني لله ندًا، ما شاء الله وحده».

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: رأيت كأني على نفر من اليهود، قلت: «إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله»، قالوا: «وأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد»، ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: «إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله»، قالوا: «وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد»، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ ، فأخبرته، قال: «هل أخبرت بها أحدًا»، قلت: «نعم»، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ تحت عنوان «الشرك في اللفظ»: «ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت . . الحديث، مع هذا أن الله قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (التكوير:٢٨)، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت في الأرض،

---

(١) رواه النسائي وصححه.

أو يقول: وحياة فلان، أو يقول: نذر لله ولفلان، أو أنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلانًا، ونحو ذلك؟.

فوازن بين هذه الألفاظ، وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش، يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعل لله ندًا بها. هذا قد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء بل لعله أن يكون له من أعدائه ندًا لله رب العالمين، فالسجود والعبادة والتوكل، والإنابة والتقوى والخشية، والحسب والتوبة، والنذر والحلف، والتسبيح والتكبير، والتهليل والتحميد والاستغفار، وحلق الرأس خضوعًا وتعبدًا والطواف بالبيت والدعاء، كل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وفي مسند الإمام أحمد: أن رجلاً أتي به إلى النبي ﷺ قد أذنب ذنبًا، فلما وقف بين يديه قال: «اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب لمحمد»، فقال: «عرف الحق لأهله»[1] [2].

إذا كان هذا كلامه ﷺ لمن قال له: «ما شاء الله وشئت»، فكيف بمن يقول:

فإن من وجودك الدنيا وضرها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

ويقول في همزيته:

هذه علتي وأنت طبيبي ... ليس يخفى عليك في القلب داء

---

(١) أخرجه أحمد وهو ضعيف الإسناد، لأن فيه انقطاعًا بين الحسن والأسود بن سريع.

(٢) «الداء والدواء» (ص ١٧٢-١٧٣).

وأشباه هذا من الكفر الصريح[١]، فيجب على العبد أن يفكر في ما يريد أن يتكلم به، فإن كان لله خالصًا تكلم، وإلا أمسك عليه لسانه، فإن الصمت زين الرجال.

خامسًا ـ الحلف بغير الله:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة تلك الصورة التي لا تفارق المجالس، فهذا يحلف بأمه، وذلك يحلف بأبيه، وذاك يحلف بالبدوي، وآخر يحلف بالرفاعي، وآخر يحلف بالشرف والأمانة والذمة . . وآخر بالطلاق، وباب الكعبة، والنبي . . إلى غير ذلك من صور الحلف التي تتلون بألوان المجتمعات والعادات، وأصبح الأمر شيئًا عاديًا، مع أن ذلك من الشرك ـ والعياذ بالله ـ.

ولقد نهى النبي ﷺ أمته عن الحلف بالآباء، وجعل ذلك ـ أعني: الحلف بغير الله ـ شركًا بالله تعالى.

فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[٣]، وقوله: «فقد كفر أو أشرك»، أخذ به طائفة من العلماء فقالوا: يكفر من حلف بغير الله كفر شرك، قالوا: ولهذا أمره النبي ﷺ بتجديد إسلامه، بقوله: «لا إله إلا الله»، فلولا أنه كفر ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٣٨).

(٢) رواه أبو داود وهو في «صحيح الجامع» رقم (٢٧٨٧).

(٣) متفق عليه.

قال الجمهور: لا يكفر كفـرًا ينقله عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر، كما نص على ذلك ابن عبـاس وغيره، وأما كونه أمـر من حلف باللات والعزى أن يقول: «لا إله إلا الله»، فلأن هذه كفارة له مع استـغفاره، كما قال في الحديث الصحيح: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى. فليقل: لا إله إلا الله»[(١)]، وفي رواية: «فليستغفر»، فهذا كفارة له في كـونه تعاطى صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به، لا أنه لتجديد إسـلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسـلامه، لنقصه بذلك لا لكفره؛ لكن الذي يفعله عبـاد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شـئت من الأيمان صادقًا أو كـاذبًا، فإذا طلبت منه اليـمين بالشيخ أو تربته أو حيـاته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين به إن كان كاذبًـا، فهذا شرك أكبر بلاريب، لأن المحلوف به عنده أخـوف وأجل وأعظم من الله، وهذا ما بلغ إليه شـرك عبـاد الأصنام، لأن جهـد اليمين عندهم هـو الحلف بالله، كمـا قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ (النحل: ٣٨)، فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحـياته أو تربته فهو أكـبر شركًا منهم، فهـذا هو تفصيل القول في المسألة[(٢)].

واستمع إلى ابن مسعود رضي الله عنه وهو يبين لـنا خطورة الحلف بغير الله، فيقول رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[(٣)].

وإنما رجح ابن مسعود رضي الله عنه الحلف بغيـره صادقًا، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيـره شرك، وإن قدر الصـدق في الحلف بغير الله، فـحسنة التوحـيد

---

(١) متفق عليه.

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٢٩).

(٣) رواه ابن جرير، ورواه الطبراني موقوفًا، وقال المنذري: ورواته رواة الصحيح.

أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك، ذكره شيخ الإسلام، وفيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقًا أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، فيه شهادة للقاعدة المشهورة وهي ارتكاب أقل الشرين ضررًا، إذا كان لابد من أحدهما. اهـ[1].

بل إن من أقبح صور اللامبالاة في الحلف أن لا يقنع الحالف بالله، بل يطلب منه أن يحلف بأبيه أو أمه أو شيخه.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم؛ من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله**»[2]، فالذي لا يرضى بالحلف بالله تعالى في قلبه دخن الشرك، وقلة الهيبة لله سبحانه وتعالى، فلو علم قدر المحلوف به وعظمته ما طلب من الحالف أن يحلف بغيره.

ومن صور اللامبالاة أيضًا: الحلف بغير ملة الإسلام، فتجد البعض إذا أراد أن يغلظ في يمينه يحلف باليهودية أو النصرانية، أو المجوسية، وهذا أمر شائع بين النساء لكثرة جهلهنَّ، وقلة علمهنَّ، فتسمع من تقول: «أكون يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية»، وهذا من أفحش صور اللامبالاة أيضًا، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير ملة الإسلام كاذبًا متعمدًا، فهو كما قال**»، وعن أبي بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف فقال: أنا بريء من الإسلام، فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا، فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا**»، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر رأي

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٣٠).

(٢) رواه ابن ماجه بسند حسن.

العلماء في ذلك: والتحقيق التفصيل، فإن اعتقد تعظيم ما ذكر كفر، وإن قصد حقيقة التعليق فينظر، فإن كان أراد أن يكون متصفًا بذلك كفر، لأن إرادة الكفر كفر، وإن أراد البعد عن ذلك لم يكفر، لكن هل يحرم عليه ذلك، أو يكره تنزيهًا، والثاني هو المشهور. اهـ[(١)].

ثانيًا ـ من صور اللامبالاة بالكلمة

(أ) اللعن:

فكثيرًا ما نسمع من يلعن دابته أو سيارته أو زوجته أو أبناءه أو جيرانه، ولا يبالي بتلك الكلمة، وكأنها كلمة عابرة لا تضره في شيء مع أن أمرها عظيم، وخطرها كبير على ذلك الإنسان.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا: **«إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض، فتأخذ يمينًا وشمالاً، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى صاحبها الذي لُعن، فإن كان أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلها»**[(٢)].

وعن أبي الدرداء مرفوعًا أن امرأة لعنت ناقة لها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا تصحبنا ناقة ملعونة»**[(٣)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»**[(٤)].

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: **«كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه، رأيناه أن قد أتى بابًا من الكبائر»**[(٥)].

---

(١) «فتح الباري» (جـ ١١) ـ (ص٥٤٧).
(٢) رواه أبو داود.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) أخرجه مسلم وأبو داود.
(٥) رواه الطبراني بإسناد جيد.

بل إن النبي ﷺ قد نفى عنه الإيمان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[١].

متى يجوز لعنه؟

قال الإمام النووي: اعلم أن لعن المسلم المصون الدم حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة ـ غير المعينين ـ، كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله اليهود والنصارى، ولعن الله الفاسقين، ولعن الله المصورين، ثم ساق من الأحاديث الصحيحة الواردة في البخاري ومسلم، أو في أحدهما جملة يستدل بها على ذلك، مثل قوله ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة ..» الحديث[٢]، «لعن الله آكل الربا وموكله» الحديث[٣]، «لعن الله المصورين» الحديث[٤]، «لعن الله من غير منار الأرض»[٥]، «لعن الله السارق يسرق البيضة»[٦]، «لعن الله من ذبح لغير الله»[٧]، «لعن الله من لعن والديه»[٨]، «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٩]، «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[١٠].

ورأى النبي ﷺ حماراً وُسم في وجهه، فقال: «لعن الله من وسم هذا»[١١].

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (١٩٧٧)، وأحمد، والحاكم في «المستدرك».
(٢) أخرجه الترمذي وحسنه.
(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٨) عن جابر.
(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٥٣٤٧) من حديث عون بن أبي جحيفة.
(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب.
(٦) متفق عليه: البخاري (١٢/ ٦٨٧٣)، ومسلم (٣/ ١٦٨٧).
(٧) أخرجه مسلم (٣/ ١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب.
(٨) أخرجه مسلم (٣/ ١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب.
(٩) متفق عليه.
(١٠) أخرجه البخاري رقم (٥٨٨٥).
(١١) أخرجه مسلم (٣/ ٣١١٧) بنحوه عن جابر.

ثم قال النووي: وأما لعن الإنسان بعينه ـ أي: إنسان معين ـ ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زاني أو مصور أو سارق أو آكل ربا، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام، وهو رأي بعض العلماء.

وأشار الغزالي في (الإحياء): إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مت على الكفر، كأبي لهب، وأبي جهل، وفرعون، وهامان، وأشباههم.

قال ـ أي: الغزالي ـ: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله، وما ندري ما يختم به لهذا الفاسق أو الكافر، فإن دعوتك عليه باللعنة معناها أنك تدعو عليه ألا يرحم أبدًا، ولا يكون ذلك إلا أن يموت كافرًا، وهو لا يجوز.

وقال الإمام الغزالي: وأما الذين لعنهم الرسول بأعيانهم، فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر، واستدل الغزالي على منع لعن إنسان بعينه بالحديث الذي رواه البخاري عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً على عهد الرسول ﷺ، كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان قد جلده في الشرب ـ في شرب الخمر ـ، فأتي به يومًا، فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: «اللهم إلعنه، ما أكثر ما يأتى به»، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»[1].

ويضيف الغزالي إلى ذلك قول: «لا يجوز أن ينسب مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق، ولا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر، من غير تحقيق» اهـ[2].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) «السلوك الاجتماعي في الإسلام» (ص١٤٨-١٤٩).

(ب) ومن صور اللامبالاة بالكلمة ما يسمى «بالنكتة»:

فقد أصبحت أمرًا عاديًا لدى كثير من الناس، فيجلس في المجلس ويقول: اسمعوا آخر نكتة، ثم يكذب في قوله من أجل أن يضحك الناس، ومن أجل أن يُقال عنه أنه ظريف، وتلك والله طامة كبرى، لأن الله يبغض الكذب والكذابين.

وعندما ننظر إلى الآيات القرآنية نجد أن الكذاب من ضمن الذين لعنهم الله تعالى، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١).

ولعل من الأمور التي لا يبالي بها الناس في زماننا وشاعت في مجالسنا، التندر بالغرائب والعجائب، حتى وصل الحال إلى الكذب، والادعاء من أجل إضحاك الآخرين، فنرى البعض من الأصحاب إذا جلس في مجلس مع أصحابه وأراد أن يظهر خفة دمه ومزاحه، بأنه ملك الفكاهة والدعابة، تراه يكذب في القول، وما علم المسكين أن النبي ﷺ توعد الذي يكذب في حديث من أجل إضحاك الآخرين بالويل والثبور.

قال رسول الله ﷺ: **«ويل للذي يحدث القوم ثم يكذب ليضحكهم، ويل له، ويل له»**[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم بيت في الجنة لمن ترك الكذب»**، وقال ﷺ: **«لا يؤمن العبد الإيمان كله، حتى يترك الكذب في المزاح والمراء، وإن كان صادقًا»**[2].

---

(١) حديث حسن، أخرجه أحمد (٥/ ٥) ـ (٦/ ٧)، وأبوداود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٤١٧)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البيهقي.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء، وهو محق، ويدع الكذب في المزاح، وهو يرى أن له شاء غلب»[(١)].

(جـ) ومن صور اللامبالاة في الكلمة «الكذب في الرؤيا»:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة الكذب في الرؤيا، وهو أن يحدث أنه رأى في نومه كذا وكذا، وهو لم يرَ شيئًا البتة، فإن ذلك من أعظم أنواع الفرى، والفِرَى - بكسر الفاء، وفتح الراء -: جمع فرية، وهي الكذبة، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه،أو يري عينه ما لم تر، أو يقول على رسول الله ما لم يقل»[(٢)]، فالذي يكذب في الرؤيا، إنما يكذب على الله، في أنه أراه كذا وكذا، وهو لم يره.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تحلم بحلم لم يرد، كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل»[(٣)].

قال الطبري: إنما اشتد فيه الوعيد من أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه، إذ قد تكون شهادة في قتل أو حد، أو أخذ مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله، أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (هود:١٨)، وإنما الكذب في المنام كذب على الله، لحديث: «الرؤيا جزء من النبوة»، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبل الله تعالى . .

---

(١) «الكذب والكذابون» (ص٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٩ ٣٥٠).
(٣) أخرجه البخاري (جـ ١٢/ ٤٢ ٧٠).

(د) ومن صور اللامبالاة «الكذب على رسول الله ﷺ»:

ومن صور اللامبالاة التي أصبحت عادة مألوفة عند كثير من الخطباء الأُجراء الكذب على رسول الله ﷺ، فيدخل المسلم ليصلي الجمعة، فيجد الخطيب قد أعد موسوعة من الكذب على رسول الله ﷺ، هَمُّ الكثير منهم أن يقضي خطبته ومهمته، وإن كانت بأحاديث موضوعة أو ضعيفة، وفريق آخر همه أن يجذب الناس بكلام معسول، وإن كان كذبًا وزورًا، وهذا دليل على قلة بضاعة هؤلاء من السنة النبوية، وضعفهم في المنزلة العلمية، فلولا أنهم أجراء ما تكلموا، وأصبحت رسالة الدعوة إلى الله وظيفة، وليست رسالة . .

فإلى هؤلاء الذين لا يبالون بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص الواهية هذا التحذير النبوي الشريف، ففي الحديث المتواتر عن سبعين صحابيًا، كلهم يقول: قال رسول الله ﷺ: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[(١)].

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب عليَّ فليلج النار»[(٢)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

قال الحافظ ابن حجر ـ بعد أن ساق الحديث ـ: وإنما ساقه بتمامه ولم يختصره كعادته، لينبه على أن الكذب على النبي ﷺ يستوي فيه اليقظة والمنام ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (٤)، وأحمد وأبو داود والترمذي.

(٢) أخرجه البخاري، حديث (١٠٦).

فإن قيل: الكذب معصية إلا ما استثني في الإصلاح وغيره، والمعاصي قد توعد عليها بالنار، فما الذي امتاز به الكاذب على رسول الله ﷺ من الوعيد من كذب على غيره؟.

* **فالجواب عليه من وجهين:**

أحدهما - أن الكذب عليه يكفر متعمد عند بعض أهل العلم، وهو الشيخ أبو محمد الجويني، لكن ضعفه ابنه إمام الحرمين من بعده، ومال ابن المنير إلى اختياره، ووجه بأن الكذب عليه فيه تحليل حرام مثلاً لا ينفك عن استحلال ذلك الحرام أو الحمل على استحلاله، واستحلال الحرام كفر والحمل على الكفر كفر، وفيما قاله نظر لا يخفى، والجمهور على أنه لا يكفر إلا إذا اعتقد حل ذلك.

الجواب الثاني - أن الكذب عليه كبيرة، والكذب على غيره صغيرة فافترقا، ولا يلزم من استواء الوعيد في حق من كذب عليه أو كذب على غيره أن يكون مقرهما واحد أو طول إقامتهما سواء، فقد دل قوله ﷺ: «فليتبوأ»، على طول الإقامة فيها، بل ظاهره أنه لا يخرج منها، لأنه لم يجعل له منزلاً غيره، إلا أن الأدلة القطعية قامت على أن خلود التأبيد مختص بالكافرين[١].

فهلا مرت هذه الأحاديث بهؤلاء الأجراء وأغفلوها، أم أنهم لم يعلموا بها وتلك مصيبة.

وأخرج أحمد ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين»[٢].

---

(١) «فتح الباري» (جـ ١) - (ص٢٤٤).

(٢) أخرجه أحمد ومسلم.

(هـ) ومن صور اللامبالاة «الاشتغال بعيوب الناس»:

فأضحت مجالسنا عبارة عن قيل وقال وهذا به وعليه، وتلك بها وعليها، وأصبحنا لا نبالي في الولوغ في أعراض المسلمين، وأغفلنا عيوبنا.

يقول زاذان: إني رأيت أقوامًا من الناس لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فستر الله عيوبهم، وزالت عنهم تلك العيوب، ورأيت أقوامًا لم تكن لهم عيوب اشتغلوا بعيوب الناس، فصارت لهم عيوب.

فإن من الناس من همه التجدث في أعراض المسلمين والمسلمات ولا يبالي بعد ذلك ما يكون، وهذا الصنف من البشر أسلم بلسانه ولم يستقر الإيمان في قلبه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه، يتتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه، ولو في جوف رحله**»[(١)].

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»[(٢)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يبصر الجذع في عين نفسه، وكيف يعيب العور من هو أعور.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب، لخشيت أن أكون كلبًا.

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٦١).
(٢) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٦٢).

وقال أبو بكر بن عبد الله المزني: إذا أردت أن تنظر العيوب جمة، فتأمل عيابًا، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من عيب.

وقال الشاعر:

المرء إذا كان عاقلاً ورعًا ... أشغله عن عيوبه ورعه

كما المريض السقيم يشغله ... عن وجع الناس كلهم وجعه

وقال آخر:

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترًا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ما ذكروا ... ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وقوله: «وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك»، ويُحتمل أن يريد به: أنها صائرة إليك، ولابد أن تعلمها، وهذا مأخوذ من الحديث الذي رواه الترمذي في (جامعه) عن النبي ﷺ: «من عيَّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله»، قال الإمام أحمد في تفسير هذا الحديث: من ذنب تاب منه.

وأيضًا ففي التعبير ضرب خفي من الشماتة بالمعير، وفي الترمذي أيضًا مرفوعًا: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»، ويحتمل أن يريد أنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا من ذنبه وأشد من معصيته لما فيه من صولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب، وأن أخاك باء به، ولعل كسرته بذنبه وما أحدث له من الذل والخضوع والإزراء على نفسه والتخلص من مرض الدعوى، والكبر والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع الطرف، منكسر القلب، أنفع له، وخير من صولة طاعتك وتكثرك بها والاعتداد بها، والمنة على الله وخلقه بها، فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المدل من مقت الله، فذنب تذل به لديه أحب إليه

من طاعة تدل بها عليه، وإنك إن تبيت نائمًا وتصبح نادمًا، خير من أن تبيت قائمًا وتصبح معجبًا، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلاً هو فيك، ولا تشعر[1].

فعليك ـ أخي المسلم ـ بخاصة نفسك، وانشغل بعيوبك عن عيوب غيرك؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فمن تتبع عورة أخيه، كان جزاؤه أن يتَّبعَ الله عورته، ومن انشغل بعيوب الناس وعَيَّرهم، ابتلاه الله وعافاهم.

حُبس محمد بن سيرين بدين ركبه، قال المدائني: كان سبب حبسه أنه أخذ زيتًا بأربعين ألف درهم، فوجد في زق منه فأرة، فظن أنها وقعت في المعصرة، وصب الزيت كله وكان يقول: «إني ابتليت بذنب من ثلاثين سنة»، قال: «فكانوا يظنون أنه عَيَّر رجلاً بفقرٍ».

وعن ابن سيرين قال: قلت مرة لرجل: «يا مُفْلس»، فعُوقبت. وسمع أعرابي رجلاً يقع في الناس، فقال: «قد استدللتُ على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها».

وقال الشاعر:

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه ... مراد لعمري ما أراد قريب

وقال آخر:

وأجر أمن رأيت بظهر غيب ... على عيب الرجال أخو العيوب

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٩٦-١٩٧).

وبعد موقعة الجمل يُقال: إن أعين بن ضبيعة المجاشعي اطلع في هودج عائشة رضي الله عنها، فقال: والله ما أرى إلا حميراء، فقالت: هتك الله سترك، وقطع يدك، وأبدى عورتك؛ فقتل بالبصرة، وسلب وقطعت يده، ورُمي عريانًا في خربة من خرابات الأزد. اهـ. من (البداية والنهاية)[١].

(و) ومن صور اللامبالاة «كثرة الكلام في غير حق»:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة «كثرة الكلام في غير حق»، فأصبحت الثرثرة بالكلام سمة كثير من الناس، فهو يتكلم ولا يبالي بما يقول أهو في كفة الحسنات، أم هو في كفة السيئات، فمن الناس من إذا جالسته أصدع رأسك بحديثه الغث، وكلامه الرث، لذا حذرنا النبي ﷺ قال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٢].

قال النووي ـ رحمه الله ـ في قوله: «وكره لكم قيل وقال»، فهو الخوض في أخبار الناس، وحكايات ما لا يعنيه من أحوالهم وتصرفاتهم[٣].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»، قالوا: «يا رسول الله، لقد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟»، قال: «المتكبرون»[٤].

---

(١) «الجزاء من جنس العمل» (جـ ١) ـ (ص٣٨٩).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٩٧٥).

(٣) شرح النووي (جـ ١٢).

(٤) رواه الترمذي برقم (٢٠١٨)، وقال: حسن غريب، وأحمد رقم (١٧٢٧٨).

فكثرة الكلام سبب من أسباب بعد العبد عن النبي ﷺ يوم القيامة، لأن من كثر كلامه كثر خطأه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «**لا خير في فضول الكلام**»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**من كثر كلامه كثر سقطه**».

وقال آخر:

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمي برأسه ... وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

* وهيا لنقف مع ابن مسعود رضي الله عنه وهو يحذرنا من فضول الكلام.

قال رضي الله عنه: «**أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته**»، وقال رضي الله عنه: «**أكثر الناس خطايا يوم القيامة، أكثرهم خوضًا في الباطل**»، وقال رضي الله عنه: «**كفى بالمرء كذبًا، أن يحدث بكل ما سمع**»، وقال رضي الله عنه: «**ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان**».

وعن الحسن رضي الله عنه قال: «**كانوا يقولون: إن لسان الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول يرجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن قلب الجاهل في طرف لسانه لا يرجع إلى القلب، فما أتى على لسانه تكلم به**».

وقال أبو الأشهب: «**كانوا يقولون: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه**»[1].

(ز) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «الغيبة»:

ومن تلك الصور التي أخذت صور الفكاهة، وأضحت سمير الجالسين تلك الكبيرة التي أصبحنا لا نبالي بخطورتها مع أنها منهي عنها في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وقد صور القرآن المغتاب بصورة وحش، انقض على أخيه الإنسان بعد موته، فأخذ يلتهم جثته، وينهش لحمه، ويمزق أوصاله، وهو تصوير يكرهه

(١) «الزهد لابن المبارك» (ص٨١-٨٣).

الإنسان، وينفر منه، ومع ذلك يقع فيه وينحرف إليه، قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

يقول الإمام فخر الدين الرازي: الحكمة في التشبيه هو إشارة أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهذا من باب القياس الظاهر، وذلك أن عرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من هذا العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأن ذلك آلم ولما كان القول في الوجه يؤلم، وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب، فلا يؤلم، فأكل لحم الأخ وهو ميت أيضًا لا يؤلم، ومع هذا القول هو في غاية القبح، لما أنه لو اطلع عليه لتألم، كما أن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه. اهـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة، فيقال له: «كله ميتًا كما أكلته حيًا»، فيأكله ويكلح ويصيح[1].

والمغتاب يؤذي أخاه في عرضه، لأن العرض معناه موضع المدح والذم في الإنسان، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»[2]، وقال ﷺ: «إن من الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق. ومن الكبائر: السبابّ بالسبة»[3].

واسمع يا من لا تبالي بالغيبة، وتحافظ على الصلاة والزكاة والحج والصوم، وتتورع عن الربا، لقد وقعت في باب من الإثم عظيم، بل وقعت في أربى الربا - والعياذ بالله -.

---

(١) ذكره ابن حجر في «الفتح» (جـ١٠) (ص٤٨٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه البزار وأبو داود، وقال الألباني: صحيح لغيره في «الترغيب» رقم (٢٨٣٢).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا اثنان وسبعون بابًا: أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه» (١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم» (٢).

وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة لا في الصوم، ولا في الصلاة؛ ولكن في الكف عن أعراض الناس.

فإن سألت عن معنى الغيبة التي ورد النهي عنها، جاءك الجواب من النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟»، قالوا: «الله ورسوله أعلم»، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: «أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟»، قال: «إن كان فيه ما تقول؛ فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول؛ فقد بهته» (٣)، ومن هذا الحديث يتضح معنى الغيبة، وهي أن تذكر أخاك المسلم بما يكرهه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو خلقه، أو فعله، أو في دينه، أو دنياه، حتى في ثوبه وداره ودابته.

وإن قلت: ما هو حكم الغيبة، وما هو رأي العلماء فيها؟.

الجواب: اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الغيبة حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، والخلاف في كونها من الكبائر أم من الصغائر.

---

(١) أخرجه الحاكم وهذا لفظه، وابن ماجه، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم.
(٢) رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٣٠).
(٣) أخرجه مسلم.

فنقل القرطبي الإجماع على أنها من الكبائر، ولكن قضية الإجماع غير مسلمة، لأن الغزالي وصاحب العمدة من الشافعية يريان أنها من الصغائر، وذهب المهدي إلى أنها محتملة بناءً على أن ما لم يُقطع بأنه من الكبائر، فهو محتمل كما تقول المعتزلة.

قال الزركشي: «والعجب ممن يعد أكل الميتة كبيرة، ولا يعد الغيبة كبيرة، والله أنزلها منزلة أكل لحم الآدمي ميتًا، ومما استدل به القائلون، بأنها صغيرة قولهم: لو لم تكن صغيرة للزم أن يكون أكثر الناس فساقًا، أو كلهم إلا نادرًا وهذا حرج عظيم».

وأجيب: بأن انتشار المعصية وارتكاب جميع الناس لها لا يدل على أنها صغيرة، كما أن هذا الانتشار والإصرار عليه، لم يكن كذلك من قبل، حين كان أهل الخير كثيرين في هذه الأمة على أن الإصرار عليها كبيرة بالإجماع، وهو منتشر في الأمة اليوم انتشارًا كبيرًا.

وقال الألوسي في تفسيره (روح المعاني) بعد أن ذكر الرأيين السابقين: «نعم لا يبعد أن يكون منها ما هو من الصغائر، وما هو من الكبائر، فالأولى مثل الغيبة التي لا يتأذى بها الناس كثيرًا، نحو عيب الملبوس والدابة والدار، وغير ذلك، والثانية كغيبة الأولياء والعلماء بألفاظ الفسق والفجور ونحوها من الألفاظ الشديدة الإيذاء، ومن ذلك: كل تشنيع يصد الناس عن العالم، ويمنعهم سماعه واتباعه، وعلى كلٍّ فالقول بالإجماع على أنها من الكبائر غير صحيح».

قال النووي في (الأذكار): «فإن ذكر عيبًا في عالم، وأراد به بيان غلطة لئلا يقلد، أو بيان ضعفه في العلم لئلا يغتر به ويقبل قوله، فهذا ليس غيبة، بل نصيحة واجبة، يُثاب عليها إذا أراد ذلك، وكذا إذا قال المصنف أو غيره، قال

قوم أو جماعة: كذا، وهذا غلط أو خطأ أو غفلة ونحو ذلك، فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين[1].

فإن قلت: أنا لا أغتاب المسلمين، ولكن لا أبالي بسماع الغيبة، والجلوس مع المغتابين، فما حكم ذلك ـ أرشدك الله ـ؟

الجواب: قال الإمام النووي في (الأذكار): اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها يحرم على السامع استماعها وإقرارها، ويجب على من سمع إنسانًا يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه، إن لم يخف ضررًا ظاهرًا، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته، وهذا هو الشأن مع كل منكر، فإن قدر على الإنكار بلسانه أو على قطع الغيبة بكلام آخر لزمه ذلك، فإن لم يفعل عصى، فإن قال بلسانه: اسكت وهو يشتهي بقلبه، ومتى اضطر إلى المقام في المجلس الذي فيه الغيبة وعجز عن الإنكار أو أنكر، ولم يقبل منه حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، وعليه أن يذكر الله بلسانه وقلبه فقط، أو يفكر في أمر آخر، ليشتغل عن سماعها، ومتى استطاع المفارقة، وجب عليه أن يفارق، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

وروينا عن إبراهيم بن أدهم أنه دُعي إلى وليمة، فحضر، فذكروا رجلاً لم يأتهم، فقالوا: إنه ثقيل، فقال إبراهيم: أنا فعلت هذا بنفسي، حيث حضرت موضعًا يغتاب فيه الناس، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام، وفيما ذكر جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٥)، وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦).

---

(١) «السلوك الاجتماعي» (ص١٢٧-١٢٨).

وجاء قوله ﷺ: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[(١)].

وفي قصة تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك، قال النبي ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟»، فقال رجل من بني سلمة: «يا رسول الله، حبسه برداه والنظر في عطفيه»، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا»، فسكت رسول الله ﷺ[(٢)].

(ح) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «النميمة»:

ومن صور اللامبالاة في زمن كثر فيه التنافس على الدنيا ومغرياتها، فظهر الحقد والحسد والعداوة والبغضاء بين الناس، أصبح المرء لا يبالي في أن يفسد بين الأحبة والأصدقاء، وأن يكون سلاحه في ذلك النميمة، وهي نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم، وإشعال العداوة والبغضاء فيما بينهم، ولقد أمر المولى سبحانه بعدم طاعة هؤلاء، وعدم الإصغاء إليهم، يقول المولى ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١٠-١١).

واعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الذي لا يبالي بالنميمة هو من أشر الناس، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «تجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه. ومن كان ذا لسانين في الدنيا، فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة»[(٣)].

وقال ﷺ: «شرار عباد الله: المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٨).
(٢) «السلوك الاجتماعي» (ص١٢٨-١٢٩). (٣) أخرجه البخاري ومسلم.
(٤) رواه أحمد، وقال الألباني: حسن لغيره «صحيح الترغيب» (ص٢٤-٢٨).

واعلم أن النميمة سبب من أسباب عذاب القبر، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: مَرَّ بقبرين، قال: «إنهما يُعذبان وما يعذبان في كبير؛ أما إنه كبير: أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[1].

واعلم أن النمام حرام عليه رائحة الجنة، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمام»[2].

قال الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله، يقول فلان فيك كذا وكذا، وليست نميمة مخصوصة بذلك، بل حدها كشف ما يكره كشفه، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان من الأقول أو الأعمال، وسواء كان عيبًا أو غيره، فحقيقة النميمة إفشاء السر، وهتك السر عما يكره كشفه، وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس، إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية، قال: وكل ما حملت إليه نميمة، وقيل له: قال فلان: كذا وكذا، لزمه ستة أحوال:

الأول ـ أن لا يصدقه، لأنه نمام فاسق، وهو مردود الخبر.

الثاني ـ أن ينهاه عن ذلك، وينصحه ويقبح فعله.

الثالث ـ أن يبغضه في الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فإنه بغيض عند الله، والبغض في الله واجب.

الرابع ـ أن لا يظن في المنقول عنه السوء، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

---

(١) رواه الجماعة وابن خزيمة.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

الخامس ـ أن لا يحمله ما حكى له على التجسس عن تحقق ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الحجرات: ١٢).

السادس ـ أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمته.

وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء، فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات: ٦)، وإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١١)، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا.

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد ـ رحمه الله ـ يحثه فيها على أخذ مال اليتيم، وكان له مال كثير، فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمرة الله، والساعي لعنه الله.

وروي أن بعض السلف الصالح زار أخًا له وذكر له عن بعض إخوانه شيئًا يكره، فقال: يا أخي، أطلت الغيبة، وأتيتني بجنايات، وبغضت إليَّ أخي، وشغلت قلبي بسببه، واتهمت نفسك الأمينة[1].

وبعد . . هذه هي النميمة وهذا هو جزاء النمام، فكن على حذر ـ عبد الله ـ، وإياك والسعي بين الناس بها؛ لأن فيها حرمان جنة تجري من تحتها الأنهار.

(ط) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «الاستهزاء والسخرية»:

في زمن العولمة ـ كما يقولون ـ، وزمن القنوات الفضائية، والتمدن والتقدم، ظهرت اللامبالاة في ثياب عصرية بالية، وسار الناس لا يبالون بكثير

(١) «الكبائر» (ص١٣٣-١٣٥).

من أمور الدين الحنيف، فأصبح الحجاب بدعة وتخلف، وأصبح الربا فائدة، والجهاد إرهابًا، وأصبح الذئب راعيًا، والخصم قاضيًا، ونطق فيه الرويبضة، ووسد الأمر إلى غير أهله .. وأصبح الاستهزاء والسخرية فنًا يُخدم ويراعى ويُعتنى به، وأصبح يدرس على هؤلاء السفهاء، وأصبحوا يقدمون مكافآت لمن يحسن الاستهزاء والسخرية بالآخرين وتقليدهم، على وجه يجعل الناس يمارسون ذلك في حياتهم.

والعجب كل العجب .. أنك ترى أناسًا يسخرون وهم خنازير بالجياد الأصلية، وكلاب يسخرون بالظباء الجميلة، وتراهم كذبة يستهزءون بالصادقين، وخونة يسخرون بالأمناء، وجبناء يسخرون بالشجعان، ومنافقون يسخرون من الصادقين، ولله در القائل:

إذا عُير الطائي بالبخل مادر ... وعُير قسًّا بالفهاهة باقل

وطاولت الأرض السماء سفاهة ... وفاخر في الأرض الحصى والجنادل

وقال السها للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائل

فيا موت زر إن الحياة ذميمة

ويقول القاضي عبد الوهاب المالكي:

متى تصل العطاش إلى ارتواء ... إذا استقت البحار من الرقايا

ومن يثني الأصاغر عن مراد ... إذا جلس الأكابر في الزوايا

وإن ترفع الوضعاء يومًا على ... الرفعاء من أقصى البلايا

إذا استوت الأسافل والأعالي ... فقد طابت ملازمة المنايا

فأصبح أصحاب العفن الفني يسخرون من العلماء والخلفاء والأمراء، وأصبح السفهاء يسخرون بكل شيء، فهذا يسخر بالقرآن، وآخر يسخر بالسنة، وآخر يسخر بالمؤمنين والمؤمنات.

فيا من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، كفوا عن هذا الغثاء وهذا العفن . . ويا من لا تبالي بالاستهزاء هيا لتعرف حقيقة الاستهزاء والسخرية وموقف الشرع منهما.

معنى السخرية والاستهزاء: الاستهانة والتحقير والتنبيه إلى العيوب والنقائص على وجه يضحك الناس منه، وهذا قد يكون بالكلام، وقد يكون بالمحاكاة والتمثيل بالفعل أو القول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، فإن كان بحضور المستهزأ به فليس بغيبة، وإن كان في غيبته فهو غيبة ما دام يكرهه، والسخرية والاستهزاء محرمان في حق من يتأذى بهما، وأما من جعل نفسه مسخرة، وربما فرح من سخرية الناس به، وضحكهم عليه، فإن السخرية به لا تكون حرامًا[1].

* واعلم أن الاستهزاء والسخرية يأخذان أشكالاً ودرجات:

أولاً ـ الاستهزاء والسخرية بكتاب الله أو برسوله ﷺ أو بسنته:

فهذا كفر ـ والعياذ بالله ـ، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: ٦٥).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: «ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء»، فقال رجل في المجلس: «كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ»، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله: «فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة

(١) «السلوك الاجتماعي» (ص١٤٦).

رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة»، وهو يقول: «يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب»، ورسول الله ﷺ يقول: «قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون»[١].

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: قال القاضي أبو بكر العربي: لا يخلون أن يكون ما قالوه من ذلك جدًا أو هزلاً وهو كيفما كان كفر؛ فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة؛ فإن التحقيق أخو العلم، والحق والهزل أخو الباطل والجهل، قال علماؤنا: انظروا إلى قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة:٦٧)، وانظر إلى نهاية من استهزأ بسنة من سنن رسول الله ﷺ.

وقال ابن خلكان: بلغنا من جماعة يوثق بهم، وصلوا إلى دمشق من أهل بصرى أن عندهم قرية يُقال لها: «دير أبي سلامة»، كان بها رجل من العريان، فيه استهزاء زائد وجهل، فجرى يوم ذكر السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: «ما أستاك إلا من المخرج»، فأخذ سواكًا وتركه في دبره، فآلمه تلك الليلة، ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج، ثم أصابه مثل طلق الحامل، فوضع حيوانًا على هيئة الجرذون، ورأسه مثل رأس السمكة، وله أربع أنياب، وله دبر مثل دبر الأرنب، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فشجت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعده يومين ومات، وهو يقول: هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي، وشاهد ذلك الحيوان جماعة من أهل تلك الناحية، وخطيب المكان[٢].

فهذا المسكين استهزأ بسنة، فجعله الله عبرة وعظة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة:١٤-١٥).

---

(١) رواه الطبري (٩/ ٤٠٩)، والحديث في «الصحيح المسند» للشيخ مقبل الوادعي (ص١٢٢).

(٢) «البداية والنهاية» (جـ٧) ـ (ص٢٦٣)، و«سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص٧٧).

وهذا آخر: قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ـ رحمه الله ـ في كتابه (شرح صحيح مسلم): قرأت في بعض الحكايات أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها، فإنه لا يدري أين باتت يده»، قال ذلك المبتدع على سبيل التهكم: أنا أدري أين باتت يدي في الفراش، فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه، قال التيمي: فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف، فانظر كيف وصل إليه شؤم فعله[١].

وهذا قزم آخر يستهزأ بحديث فضل طلب العلم، قال أحمد بن مروان المالكي في كتابه المجالسة: حدثنا زكريا بن عبد الرحمن البصري، قال: سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة، فحدثنا بحديث النبي ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم»[٢]، وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة يستهزئ بالحديث، فقال: «والله لأطرقن غداً نعلي بمسامير، فأطأ بها أجنحة الملائكة»، ففعل ومشى، فجفت رجلاه جميعًا، ووقعت في رجليه الأكلة، وقال الطبراني: سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال: «كنا نمشي في بعض أزقة البصرة، إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه، فقال: «ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة، لا تكسروها كالمستهزئ»، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه فسقط.

ثانيًا ـ الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين:

فاليوم ترى وتسمع منافقين يسخرون من مؤمنين، وعلمانيين يسخرون من دعاة مخلصين صادقين، فيا سبحان الله منافق يضلل عالم، ومجرم يضلل تقي

---

(١) «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص٧٨).

(٢) رواه الطيالسي عن صفوان بن عسال، وهو في «صحيح الجامع» رقم (١٩٥٢).

هذا زمن انتكست فيه الموازين، وأصبح الأمر عاديًا، حتى أضحى عالم الدين والشريعة مصدر سخرية واستهزاء، فهم يسخرون بثيابه وبكلامه، وبعلمه الذي يحمله حتى تزعزعت الثقة بين العلماء، وعامة الأمة، فهيا يا من لا تبالي بتلك البلية، لتسمع إلى الله وهو يحذر من ذلك، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١).

والسخرية: التحقير والاستهزاء، وذلك تارة يكون بالتضحيك منه، والتشهير به، وتارة بحطه عن درجة الاعتبار وإلحاقه بمن لا حرمة له ولا قيمة، كما يقول القائل:

فذاك الذي إن عاش لا يعتنى به ... وإن ماتت لا تبكي عليه أقاربه

وكما يقول القائل: هو أحقر من أن يُذكر، ومثال قول ذلك الشاعر كثيرة، مما يدل على احتقار الإنسان لأخيه، واستصغاره لشأنه، وازدرائه لحقه وحرمته، وعدم العناية به، وهذا إن حدث بين المسلم وأخيه، فهو ضربة موجعة للرابطة التي تجمع بينهما، لأنه لا يليق ولا يجوز بين المتفقين في عقيدة واحدة، فهذه العقيدة أقوى وآصل وأبقى وأشرف، فكيف لا يبالي بحرمة أخيه الذي أمره ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يسخر ولا يستهزئ منه، بل هم جميعًا أمام الله ورسوله سواء لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى والعمل الصالح؛ ولذا جاء الخطاب للأمة الإسلامية بجميع أفرادها تنهاهم عن السخرية والاستهزاء، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ (الحجرات: ١١).

يقول العلامة ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في (الصحيح) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الكبر بطر الحق وغمص الناس»، ويروى: «غمط الناس»؛ والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرًا عند الله تعالى، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له، وبهذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: لا تلمزوا الناس والهماز: اللماز من الرجال مذمومًا ملعون، كما قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة: ١)، والهمز بالفعل، واللمز بالقول، كما قال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ١٢)، كما قال أيضًا: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩)، أي: لا يقتل بعضكم بعضًا، قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل بن حيان: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾، أي: لا يطعن بعضكم على بعض، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ (الحجرات: ١١)، أي: لا تدعوا بالألقاب التي يسوء الشخص سماعها[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم اخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»[٢].

وعنه أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكهم»[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٤) ـ (ص٢١٢).
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم برقم (٢٦٢١).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر له، إني قد غفرت له وأحبطت عملك»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله أذهب عنكم عُبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، الناس بنوا آدم، وآدم من تراب، مؤمن تقي، وفاجر شقي، لينتهين أقوامٌ يفتخرون برجال، وإنما هم فحم من جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها»[(٢)]، وأما الذي يحتقرون الناس لأنهم أغنياء أو لأنهم في مناصب مغرية، أو لأن كلمتهم في الناس مسموعة، أو لأن الشعب يخشاهم ويخافهم، فإني أقول لهم: أنهم يجب أن يفهموا أن وزنهم في نظر دين الله بحسب عملهم الصالح النافع لهم، ولغيرهم، وأنهم بدون عمل صالح يعملونه ابتغاء وجه الله، ويكون مرسومًا بحدود شريعة الله، فإنهم حينئذ أهون على الله وأحقر من الخنافس والصراصير وحشرات المزابل، كما مر في الحديث النبوي باب الكبر . .[(٣)].

(ي) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «الكلام فيما لا يعني»:

وذلك لأنه تضييع للوقت الذي هو رأس مال المسلم، فقد كان بإمكانه أن يستغله في ذكر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فينال به الأجر الكثير، فالكلام فيما لا يعني إن لم يكن فيه ضرر، ففيه الخسارة، وتضييع الأجر، ولذلك قال النبي ﷺ: «من

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ص٢٩٦٣).

(٢) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ص٢٩٦٥).

(٣) «السلوك الاجتماعي في الإسلام» (ص٨٦).

حسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه»، وقال أيضًا: من صمت نجا، وقال مجاهد: سمعت ابن عباس يقول: «خمسٌ لهنَّ أحب إليَّ من الدهم الموقوفة:

١ - لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل، ولا آمن عليك الوزر.

٢ - لا تتكلم فيما يعنيك، حتى تجد له موضعًا، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت.

٣ - ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا، فإن الحليم يقيلك والسفيه يؤذيك.

٤ - واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، وأعفه مما تحب أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به.

٥ - واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام».

وقيل لـلقمان الحكيم: «ما حكمتك؟»، قال: **«لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني».**

وقال ابن عمر رضي الله عنه: **«لا تتعرض لما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشى الله تعالى، ولا تصحب الفاجر، فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى».**

قال الغزالي: وحدُّ الكلام فيما يعنيك أن تتكلم بكلام ولو سكتَّ عنه لم تأثم، ولم تستضر في حال ولا مال، مثاله أن تجلس مع قوم، فتذكر لهم أسفارك، وما رأيت من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم، فهذه أمور لو سكتَّ عنها لم تأثم ولم تستضر، وإذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان، ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا بمشاهدة اغتياب شخص، ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى، فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك، وأنَّى تسلم من الآفات التي ذكرناها؟!.

ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك، فأنت بالسؤال مضيع وقتك، وقد ألجأت صاحبك أيضًا بالجواب إلى التضييع، هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة، وأكثر الأسئلة فيها آفات، فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً، فتقول له: هل أنت صائم؟، فإن قال: نعم، كان مظهرًا لعبادته، فيدخل في الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا، كان كاذبًا، وإن سكت مستحقرًا لك تأذيت به، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه، فقد عرضته بسؤال إما للرياء، أو للكذب، أو للاستحقار، أو للتعب. اهـ.

فإن قلت: فما علاج ذلك؟ يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ: وعلاج ذلك أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مسؤول عن الكلمة وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله وتضييعه خسران مبين.

* وهيا لترى ـ يا من لا تبالي بالحديث عما لا يعنيك ـ كيف كان حال السلف رضي الله عنهم:

١ ـ ذكر أبو سليمان عن مورق العجلي، قال: أمر أطلبه منذ عشرين سنة لم أنله، ولست بتاركه حين أستقبل، قيل: فما هو يا أبا المعتمر؟، قال: الصمت فيما لا يعنيني.

٢ ـ وذكر أبو سليمان أن أخًا ليونس بن عبيد كتب له . . أما بعد، فاكتب إليَّ كيف أنت؟ فكتب إليه يونس . . أما بعد، فإنك كتبت إليَّ تسألني كيف أنا، وكيف حالي، فأخبرك أنَّ نفسي قد ذلت إليَّ بصيام اليوم البعيد الطرفين الشديد الحر، ولم تذل إليَّ بترك الكلام فيما لا يعنيني.

٣ ـ يقول ابن بشار وهو يتحدث عن نعمة الله عليه منذ ثلاثين سنة: ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر عنها!!

٤ ـ أبو دجانة ﷺ: دخلوا على أبي دجانة وهو مريض، فكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لك وجهك يتهلل ـ يرحمك الله ـ؟، فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين، كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليمًا.

٥ ـ وذكر أبو سليمان عن الأعمش عن أبي رشد أن رجلاً من أهل البصرة جاء إلى عبيد بن عمر، فقال: إني رسول إخوانك من أهل البصرة إليك، فإنهم يقرؤنك السلام ويسألونك عن أمر هذين الرجلين علي وعثمان، وما قولك فيهما؟، فقال: هل غيره؟، قال: لا، قال: جهزوا الرجل، فلما فرغوا من جهازه، قال اقرأ عليهم السلام، وأخبرهم أني أقول فيهم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤١).

٦ ـ وذكر أبو سليمان أيضًا عن الشافعي: قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين؟، فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني بها[1].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: اشغل نفسك فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ثم إياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك، فإنه يفسدها عليك فسادًا يصعب تداركه، ويلقي إليك الوساوس ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت تعينه على نفسك بتمكينه من قلبك، فمثالك معه مثال صاحب رحى يطحن فيها الحبوب، فأتاه شخص معه حمل تراب وبعر

(١) «كتاب العزلة» للخطابي.

وفحم وغثاء، ليطحنه في طاحونك، فإن رددته ولم تمكنه من إلقاء ما معه في الطاحون، فقد واصلت على طحن ما ينفعك، وإن مكنته من إلقاء ما معه في الطاحون أفسد عليك ما في الطاحون من الحب، فخرج الطاحون كله فاسداً.

فيترك ماؤكم من غير ورد وذاك لكثرة الأخلاط فيه

(ك) ومن اللامبالاة بالكلمة «المراء والجدل»:

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن من صور اللامبالاة بالكلمة المراء والجدل، وترى الرجل يصلي ويصوم ويزكي ويحج، ولكنه لا يبالي بالمراء والجدل، والنبي ﷺ قال: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[1].

يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ: وحدُّ المراء: هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ، وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته، فإن كان حقًا فصدق به، وإن كان باطلاً وكذبًا، ولم يكن متعلقًا بأمور الدين، فاسكت عنه. اهـ.

ولقد ذم الله تعالى أقوامًا في كتابه لجدالهم ومرائهم، يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٥)، وقال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: ٥٨)، وأخبر سبحانه عما في صدور هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ (غافر: ٥٦)، وأمرنا سبحانه

---

(١) رواه أبو داود، وصححه النووي في رياض الصالحين، وله شاهد عند الترمذي.

إذا جادلنا أهل الكتاب أن نجادلهم بالتي هي أحسن، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

* وهيا لترى أثر الجدل والمراء على الفرد والمجتمع:

أولاً ـ الضلال: فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (١).

ثانيًا ـ الاختلاف والاقتتال: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر، ينزع هذا بآية، وينزع هذا بآية، فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما يفقأ في وجهه حب الرمان، فقال: «يا هؤلاء ابهذا بعثتم أم بهذا أمرتم، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» (٢).

ثالثًا ـ أن الجدال والمراء سبب من أسباب سخط الله تعالى على العبد، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «من خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع» (٣)، وفي لفظ: «فقد باء بغضب الله» (٤).

رابعًا ـ أنه سبب من أسباب قسوة القلب: قال الإمام مالك: المراء يقسي القلوب، ويورث الضغائن.

خامسًا ـ أنه سبب من أسباب استحواذ الشيطان، عن مسلم بن يسار قال: «إياكم والمراء، فإنه ساعة جهل، وعندها يبتغي الشيطان زلته».

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٣٣).
(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الترغيب» رقم (١٤٠).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٩٦).
(٤) المصدر السابق.

(ل) ومن صور اللامبالاة في الكلمة «إفشاء السر»:

فكم من إنسان استودعه أخوه سرًا، فأفشاه، وأخبر به وظن أنها كلمة يقولها ولا يبالي بخطرها.

يقول أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ـ رحمه الله ـ: وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمنًا وفي عواقبه سالمًا، ولنجاح حوائجه راجيًا، وقال أنوشروان: من حصن سره، فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته، والسلامة من السطوات، وإظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهار سر نفسه، لأنه يبوء بإحدى وصْمتين الخيانة إن كان مؤتمنًا، أو النميمة إن كان مستودعًا[1].

واعلم ـ يا من لا تبالي بإفشاء الأسرار ـ أن فيك صفة من صفات المنافقين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[2].

وقال ﷺ: «إذا حدث الرجل الحديث، ثم التفت فهو أمانة» لذا كان السلف الصالح يوصون أبناءهم بكتمان السر، وعدم إفشائه، قال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنه: إني أرى هذا الرجل ـ يعني عمر رضي الله عنه ـ يقدمك على الأشياخ، فاحفظ عني خمسة: لا تفشينَّ له سرًا، ولا تغتبنَّ عنده أحدًا، ولا تجربن عليه كذبًا، ولا تعصينَّ له أمرًا، ولا يطلعنَّ منك على خيانة. قال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس، خير لي من ألف درهم.

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

ويُروى أن معاوية رضي الله عنه أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثًا، وقال الوليد لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إليَّ حديثًا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، فقال أبوه: لا تحدثني به يا بني، فإن من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فقال يا أبت: وإن هذا ليدخل بين الرجل وابنه؟، فقال: لا والله يا بني، ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر، قال الوليد: فأتيت معاوية، فأخبرته، فقال: يا وليد اعتقك أبوك من رق الخطأ[1].

. . ويقول الماوردي ـ رحمه الله ـ: اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح، رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «استعينوا على الحاجات بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمة محسود» وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «سرك أسير، فإن تكلمت به صرت أسيره»، وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني كن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر[2].

(م) ومن صور اللامبالاة بالكلمة «إفشاء الأسرار الزوجية»:

ومن صور اللامبالاة التي لا يبالي بها الرجال والنساء على حد سواء، إفشاء الأسرار الزوجية، فنجد الرجل يجلس مع أصدقائه، فيحدثهم بما جرى بينه وبين زوجته، وكذلك المرأة تحدِّث، ولا يبالون بذلك، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»[3].

---

(١) كتاب «أربعين خطأ للسان» (ص٤٩-٥٠).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٣١٢).

(٣) رواه مسلم.

وعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود عنده، وقال: «لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها»، فأرم القوم، فقلت: إي والله يا رسول الله، أإهم ليفعلون وإنهن ليفعلن، قال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة، فغشيها والناس ينظرون»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»[2].

وهكذا نهى النبي ﷺ النساء من تلك اللامبالاة التي لا يستحي فيها الرجل أن يذكر ما صنعه مع زوجته، وكذا المرأة، فبيَّن لهم أن الذي يفعل ذلك من أشر خلق الله، بل صورهم بشيطان لقي شيطانة، فأتاها في قارعة الطريق، والناس ينظرون، ألا فليتق الله هؤلاء ولا يفشوا أسرار بيوتهم، فكم من بيوت كانت عامرة أضحت خرابًا، لأن الزوج لم يبالِ بأسرار بيته.

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه مسلم.